تداوليَّة الحوار بين النحويين (دراسة في ضوء نظريَّة الأفعال الكلاميَّة)

أ.د. أسعد خلف العوادي
جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية
dr.Asaad.Khalaf.Alawadi@utq.edu.iq
م.م. علي كاظم عبد علي ياسين
جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية
Aabwmstfy382@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث واحداً من أهم الأساليب التي اتَّبعها النحويُّون في مؤلفاتهم النحويَّة وهو أسلوب الحوار ودراسته دراسة تداوليَّة في ضوء نظرية الأفعال الكلاميَّة ، وقد حاولنا رصد بعض الظواهر النحويَّة التي جاءت في محاورات النحويين ، وبيان صلتها الوثيقة بنظريَّة الأفعال الكلاميَّة، وقد ركَّز البحث على مفهوم هذه النظريَّة ، ثم ذكر أهم أصنافها في الفكر اللساني الحديث، ومن ثم عرضَ لبعض النماذج التطبيقيَّة من المحاورات النحويَّة التي تجلَّى فيها مفهوم الأفعال الكلاميَّة ، ثم انتهت الدراسة إلى مجموعة نتائج تضمَّنت أهم ما توصَّل إليه البحث.

الكلمات المفتاحيَّة: (الحوار ، النحويون ، ، التداولية ، الأفعال الكلامية)

Pragmatics of dialogue among grammarians according to Speech Act theory

Prof.Dr. Asaad Khalaf Al-Awadi
University of Thi-Qar College of Education for Human Sciences
Asst.lec. Ali kadhim Abd Ali Yassin
University of Thi-Qar College of Education for Human Sciences

Abstract:

This research deals with one of the most important methods used by the grammarians in their grammatical (or books) writings, which is the method of dialogue that is studied in a pragmatic study in the light of speech acts theory. The researcher tries to identify some of grammatical phenomena that are found in the dialogues of grammarians by identifying the close relation of such grammatical phenomena to the speech acts theory. This research focuses on the concept of this theory and mentions its important classifications

in the modern linguistics. Then, it presents applied models of grammatical dialogues in which the concept of speech acts is included. This study concludes a set of results that include the most important findings of this research.
Keywords: (Dialogue , Grammarians, pragmatics, speech acts)

المقدّمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين وبعد ..

فإنَّ ظاهرة الأفعَال الكلاميَّة عند نحاتنا القدماء مقاربةٌ بين منظورينِ قديم وحديث ، وتهدف إلى إثبات أنَّ دراسة هذه الظاهرة كانت أنضج ممَّا وصل إليه الفكر اللساني الحديث ، وتردُّ كل الدعاوى التي نفت وجود أيِّ وعي بمفهوم الأفعال الكلاميَّة في الفكر النحوي العربي القديم ، وهذا ما يظهر من خلال تطبيق المفاهيم التَّداوليَّة ولاسيما مفهوم الأفعال الكلاميَّة على التراث اللغوي العربي القديم ، إذ يُسهم في تفسير ظواهره التَّواصليَّة ، وهو قراءة جديدة واعية تكشف عن الجهود اللغويَّة الجبَّارة لعلمائنا القدماء الذين سبقوا الدرس اللغوي الحديث ، فيما طرحه من نظريَّات لسانيَّة ، فما يُولَّدُ من نظريَّاتٍ حديثة ليس مقطوع الصلة عن تراثنا النحوي.

والمتفحِّص لمدوّنات النحويين القدماء يجد أنَّهم لم يكونوا غافلين عن أهميَّة مفهوم الأفعال الكلاميَّة في نجاح العمليَّة التحاوريَّة ، وإثبات وجود هذا المفهوم في تراثنا النحوي يؤكِّد أصالته وسبقه في الاعتماد على كلِّ ما يحقِّق الفائدة المرجوة من بناء الجملة في السياقات المختلفة ، وهذا الوعي المبكِّر بأهميَّة الأفعال الكلاميَّة في العمليَّة الحواريَّة قد تجلَّى بوضوحٍ في فكر النحويين ، حتى أصبح مرتكزاً أساسيًّا يعتمدونه في توجيه دلالات بعض الجمل ، والكشف عن اللطائف التعبيريَّة الدقيقة المتضمَّنة فيها.

وقد اقتضى البحث أن أبيِّن مفهوم الأفعال الكلاميَّة ، ثم ذكر أهم أصنافها عند أستين وسيرل ، ومن ثم أعرض بعض النماذج التطبيقيَّة من المحاورات النحويَّة ، وقد تجلَّى فيها مفهوم الأفعال الكلاميَّة ، وقد درستُ ذلك دراسةً تقوم على قراءة النصوص الحواريَّة في مدونات النحويين ومقارنتها باطروحات النظريَّة اللسانيَّة الحديثة.

مفهوم الافعال الكلامية:

تعد الأفعال الكلاميَّة من الأسس التي قامت عليها اللسانيَّات التَّداوليَّة[١] ، وهي من أهم المفاهيم التَّداوليَّة وأبرز قضاياها ، وإن لم تكن أهمّها جميعاً ، بل أنَّ التَّداوليَّة في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلاميَّة[٢] ، ولذا لا تُعد نظريَّة أفعال الكلام بحسب بعض الباحثين حلقة من حلقات التَّداوليَّة ، أو مرحلة من مراحلها ؛ لأنَّ البحث في نظريَّة الأفعال الكلاميَّة جاء متزامناً مع البحث التَّداولي[٣].

وقد انبثقت هذه النظريَّة من مناخٍ فلسفي عام هو تيار (الفلسفة التحليليَّة) ، بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا[٤].

ويطلق على هذه النظريَّة أيضاً نظريَّة الحدث الكلامي ، ونظريَّة الحدث اللغوي ، والنظريَّة الإنجازيَّة[٥] ، وكذلك يطلق عليها نظريَّة الأعمال اللغويَّة[٦].

وقد كانت البدايات الأولى لهذا الحقل المعرفي في النصف الثاني من القرن العشرين على يد الفيلسوف اللغوي البريطاني (جون أوستين) ، وهو أمر مسلَّمٌ به لدى المختصين بالتَّداوليَّة ، فهو المؤسِّس الحقيقي لها[٧] ، وقد اكتملت معالم هذه النظريَّة على يد تلميذه (جون سيرل) ، الذي أعاد تنظيم أفكار أستاذه ، ووضع الأسس المنهجيَّة لهذه النظرية[٨].

ويُدرج ما جاء به أوستين وسيرل تحت مفهوم الفعل الكلامي البسيط الذي لا يتعدى حدود القول أو الجملة[٩] ، والذي ((لم يطبَّق في الواقع سوى على جملٍ مفردة حتى وإن كانت تلك الجمل يمكن أن تسند إليها وظيفة النص في الوقت نفسه))[١٠] ، وقد التَفَتَ بعض علماء اللسانيَّات إلى ضرورة تجاوز ذلك ؛ من أجل احتواء الأفعال الكلاميَّة الأكبر ولاسيما تلك التي تكون على مستوى النص ككل ، ومنهم (فان دايك) و(مانغونو) وغيرهما[١١].

وقد تباينت تعريفات الباحثين في تحديدهم لمفهوم الفعل الكلامي ، ويعود السبب في ذلك إلى اختلافهم في المرجعيَّات التي انطلق منها الدارسون ، ومع ذلك فإنَّ المتفق عليه هو أنَّ التكلم بلغةٍ ما أو التَّحدث بها يعني تحقيق أفعالٍ لغويَّةٍ ، أي ما ينجزه المتكلم في أثناء التَّلفظ بالمنطوق ، إذ

يقولُ أوستين : ((إحداث التلفظ هو إنجاز لفعلٍ وإنشاء لحدثٍ))[١٢] ، وهذا يعني أنَّ مفهوم الفعل الكلامي لا يقف عند حدود النطق بل يتعدَّى إلى الإنجاز ، فهو يتضمن متكلِّماً وملفوظاً ومتلقياً ، فالمتكلِّم لا يصدر أصواتاً فحسب في أثناء كلامه ، بل ينجزُ بعض الأفعال التي تصدر عنها بعض الحجج التي من شأنها التأثير في المتلقي وإقناعه[١٣] ، فالأفعال الكلاميَّة تحقق أغراضاً إنجازيَّةً تصدر من المتكلمين وغايات تاثيريَّة تظهر من ردود أفعال المتلقين[١٤] ، فمثلا : حينما يقول القاضي : (فُتِحت الجلسة) يكون بذلك قد أنجز فعلاً اجتماعيّاً في مكان انعقاد الجلسة وهو الإيذان بفتح الجلسة[١٥] .

وقد حدَّد (دومينيك مانغونو) الفعلَ الكلاميَّ بقوله : ((كل فعلٍ لغويٍّ يندرج في إطارٍ مؤسَّساتي يحدد مجموعة من الحقوق والواجبات بالنسبة للمشاركين في عمليَّة التخاطب ، ويجبُ عليه أن يلبي عدداً من شروط الاستعمال))[١٦].

ويرتبط تحقق الفعل الكلامي وإنجاحه بدخول أطراف الخطاب (المتكلم والمخاطب) في حواريَّة معيَّنة ؛ إذ لا يمكن حصول التأثير والتأثر إلاَّ بها ، فالفعل الكلامي فعلٌ تواصلي يعتمد على المشاركة بين الأطراف.

وذهبَ الدكتور مسعود صحراوي إلى أنَّ مفهوم الفعل الكلامي أصبح نواةً مركزيَّةً في الكثير من الأعمال التَّداوليَّة ومفاده أنَّه كل ملفوظٍ ينهض على نظامٍ شكلي دلالي إنجازي تأثيري ، فضلاً عن ذلك يعد نشاطاً ماديَّاً نحويَّاً يتوسَّل أفعالاً قوليَّة لتحقيق أغراض إنجازيَّة (كالطلب ، والأمر ، والوعد ، والوعيد ... الخ) ، وغايات تأثيريَّة تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض ، والقبول) ، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثيرٍ في المخاطب إجتماعياً أو مؤسَّساتياً ، ومن ثم إنجاز شيء ما[١٧].

وقد كان نقد جون أوستين لنظرة فلاسفة الوضعيَّة المنطقيَّة للغة منطلقاً لإبراز هذه النظريَّة التَّداوليَّة ، ففلاسفة الوضعيَّة المنطقيَّة يرون أنَّ اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات إخباريَّة يمكن الحكم عليها بالصدق إن طابقت الواقع وبالكذب إن لم تطابقه ، فإذا لم تطابق العبارة الواقع فليس من الممكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، ومن ثم لا معنى لها ، وهم بذلك يخرجون من اللغة معظم أنواع الخطاب الأدبي والديني والأخلاقي ، فهي بمعيارهم لا معنى لها[١٨].

أصناف الأفعال الكلامية عند أوستين وسيرل:

لقد أنكر أوستين أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم وصفاً يكون صادقاً أو كاذباً، وأطلق عليه بالمغالطة الوصفيَّة[١٩] ، ويسميه بعضهم بالمغالطة الإنجازيَّة[٢٠] ، لأن هناك نوعاً من العبارات لا يمكن الحكم على صدقها أو كذبها ، فهي لا تقول شيئاً عن حالة الكون الراهنة أو السابقة إنَّما تُغيّرها أو تسعى إلى تغييرها ، فقد فكَّر أوستين في جمل من قبيل (آمرك بالصمت)، أو (أعدك بأن آتي غداً) ، ففي هذه الجمل لا نقول شيئاً عن حالة الكون وإنَّما نسعى إلى تغييره ، فقائل (آمرك بالصمت) يسعى إلى فرض الصمت على مخاطبه ، فيحتمل أنَّه يسعى إلى الانتقال من حالة الضجيج في الكون إلى حالة السكون فيه[٢١]، ويقدم أوستين أمثلة يوضِّح فيها أنَّ كلَّ الجمل ليست جملاً خبريَّة ، وبيَّن كيف أنَّ اللغة يمكن أن تستعمل لتنجز وعداً ، أو تصريحاً ، أو زواجاً ، أو طلاقاً ، أو رهاناً ، أو مقايضة ، إلى غير ذلك من الأفعال التي يقترن فيها القول بإنجاز الفعل[٢٢] ، لذا ميَّز بين نوعين من الأقوال هما :

١. الأقوال الوصفيَّة أو الإخباريَّة: وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي ، وتكون صادقة أو كاذبة ، وهي أقوال تصف حالة معيَّنة لشيء أو شخص ، وتقابل ما يسمى في البلاغة العربيَّة بـ (الأقوال الخبريَّة) ، وقد سمَّاها النحويُّون العرب بـ (الأساليب الخبريَّة) ، وهي أنَّ الكلام يحتمل الصدق والكذب لذاته ، بحيث يصح أن يقال لقائله إنَّه صادق أو كاذب، والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع ، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع ، ومن خصائصها أنَّها تصف حالة الأشياء في الكون التي تسبق التلفظ، بحيث لا يرتهن وجود هذه الحالة بالتلفظ[٢٣].

٢. الأقوال الأدائيَّة الإنجازيَّة : وهي التي تنجز أفعالاً ، أي تُودى بها أعمال في أثناء نطقها ، إذ يقترن فيها النطق أو القول بأداء الفعل أو إنجازه[٢٤] ، وهي لا تُوصف بالصدق أو الكذب ، بل تكون موفقة الأداء أو غير موفقة ، ولا تكون الأفعال الأدائيَّة موفقة عند أوستين إلاَّ إذا تحقَّقت لها شروط الملائمة ، فإذا لم تتحقَّق كان ذلك إيذاناً بإخفاق الأداء ، بالإضافة إلى الشروط القياسيَّة التي لا تكون لازمة لأداء الفعل ، بل لأدائه أداءً موفقاً غير معيب ، فإذا لم تتحقق كان في ذلك إساءة أداء للفعل[٢٥] ، وتقابل هذه الأقوال ما يسمى الإنشاء الإيقاعي في البلاغة العربيَّة ، ومن

خصائصها أنَّها لاتصف أي شيء ولا تخبر ، وغير خاضعة لمعيار التَّصويب ، وميزتها الأساسيَّة أنَّ التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع(٢٦).

وعلى الرغم ممَّا بذله أوستين من جهد في تمييز الأفعال الإخبارية من الأدائية فقد رأى أنَّ هذا التمييز غير حاسم ، وأنَّ كثيراً ممَّا تنطبق عليه شروط الأفعال الأدائيَّة ليس منها ، وأنَّ كثيراً من الأفعال الإخباريَّة تقوم بوظائف الأدائيَّة ، ولذلك عَدلَ عن هذا التقسيم ، ورأى أنَّ الفعلَ الكلامي مركبٌ من ثلاثة أفعال تؤدى في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي ، وتعد جوانب مختلفة لفعلٍ كلامي واحد ، ولا يفصل أحدها عن الآخر إلاَّ لغرض الدرس فحسب وهي(٢٧):

١. فعل القول أو (الفعل اللفظي) : ويُراد به إنتاج أصوات لغويَّة تنتظم في جملٍ مفيدة ، ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة ، ويشتمل فعل القول على أفعال لغويَّة فرعيَّة ، وهي المستويات اللسانيَّة المعهودة : المستوى الصرفي ، والتركيبي ، والدلالي، ولكن أوستين يسميها أفعالاً.

٢. الفعل المتضمن في القول : وهو الفعل الإنجازي الحقيقي ، أي أنَّه عملٌ يُنجز بقولٍ ما ، وهذا الصنف من الأفعال الكلاميَّة هو المقصود من النظريَّة برمتها ، وقد اصطلح عليه أوستين بـ (القوى الإنجازيَّة)، ومن أمثلته : السؤال ، إجابة السؤال ، إصدار تأكيد أو تحذير ، وعد ، أمر،... الخ.

٣. الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري) : ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي أو المخاطب ، وردّة فعل المخاطب ، سواء أكان أثراً جسديَّاً أم فكريَّاً أم شعوريَّاً، ومن أمثلته : الإقناع ، والتضليل ، والإرشاد ، ... الخ.

وقد قسَّم أوستين الأفعال الكلاميَّة على أساس قوتها الإنجازيَّة على خمسة أقسام هي(٢٨) :

١. الحكميَّات: وهي الأفعال التي تنتج عن إصدار حكمٍ ما ، سواءٌ أكان الحكم صادراً من هيأة قضائيَّة أم من محكّمٍ تختاره الأطراف ، وليس من الضروري أن تكون الأحكام نهائيةً أو نافذة ، فقد تكون تقديرية أو ظنيَّة ، ومن أمثلتها : برأ ، قيَّم ، حكم ، حسب ، وصف ، حلل ، صنف ، ... الخ.

٢. التنفيذيات : وهي الأفعال التي تقوم على استعمال الحق أو القوة وما إليهما ، وتنتج عن طريق الممارسة التشريعيَّة ، فتتعلق بممارسة القانون والسلطة ، ومن أمثلتها: التعيينات وإصدار الأوامر التفسيريَّة في المذكرات ، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير.

٣. الوعديَّات : وهي التي تعبِّر عن تعهد المتكلم بفعل أو أداء شيء ما ، أو إلزام نفسه به، ومن أمثلتها : وعد ، نذر ، أقسم ، تعهد ، تعاقد على ... الخ.

٤. السلوكيات : وهي التي تعبِّر عن ردِّ فعلٍ لسلوك الآخرين ، ومواقفهم ، ومصائرهم ، وترتبط بالتعبير عن الحالات النفسيَّة تجاه ما يحدث للآخرين ، ومن أمثلتها : الشكر ، والاعتذار ، والتعاطف ، والفقد ، والتحيَّة ، والرجاء ... الخ.

٥. العرضيات : وهي الأفعال التي توضِّح علاقة الأقوال بالمحادثة أو المحاجَّة الراهنة ، فتكون ألفاظها جارية مجرى الاحتجاج والنقاش والمحادثة ، وتستعمل الألفاظ بطريقة العرض وتقديم وجهات النظر ، وإثبات الحجة ، ومن أمثلتها : أثبت ، وأنكر ، وأجاب ، واعترض ، ومثَّل، واستنبط ، وشرح، ... الخ.

وبالرغم من الجهود التي بذلها أوستين في محاولته دراسة الأفعال الكلاميَّة وتصنيفها في إطار نظرية عامة وشاملة إلاَّ أنَّه سرعان ما تبيَّن هشاشة هذا التصنيف ؛ لوجود نوع من التداخل بين هذه الأُسر وانعدام حدود واضحة تفصل بينها[٢٩] ، فلم يكن ما قدَّمه قائماً على أسسٍ منهجيَّةٍ واضحة ومحدَّدة ، فقد خلط بين مفهوم الفعل قسماً من أقسام الفعل الكلامي والفعل حدثاً اتصاليَّاً ، ولم يقم تحديده للأفعال وتصنيفه لها على أساسٍ راسخٍ فتداخلت فئاتُها ودخل في بعض الفئات ما ليس منها[٣٠] ، وقد أُخِذَ عليه أيضاً الاضطراب في تصنيفه ، ومن سمات هذا الاضطراب أنَّه لم يصنف الأفعال اللغويَّة على أسس منهجيَّة عدا الأفعال الإنجازيَّة التي صنَّفها بحسب الغرض الإنجازي، ومن سمات الاضطراب أيضاً أنَّه يمكن للمتكلم أن ينجز القوة الغرضيَّة بأكثر من فعلٍ لغوي[٣١] ، وقد أشار أوستين إلى عدم رضاه عن هذا التصنيف الذي لم يكن كافياً لبناء نظرية شاملة للأفعال الكلاميَّة بسبب تداخل المجموعات فيه فكان ((من الصعب نقد التصنيف المقترح وتقديم تصنيف آخر بكلِّ ما يكفي من الضمانات))[٣٢] ، إلى أن قام (جون سيرل) ، بتعديل التقسيم الذي قدَّمه أوستين للأفعال

الكلاميَّة ، وذلك بلحاظ أنَّ أوستين قسمها على ثلاثة أفعال فرعية هي : الفعل اللفظي ، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري ، فقد عمد سيرل إلى جعلها أربعة أقسام ، إذ قسَّم الفعل اللفظي على قسمين هما(٣٣):

١. الفعل النطقي : وهو الذي يخص الجوانب الصوتيَّة والتركيبيَّة والمعجميَّة.

٢. الفعل القضوي : وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع والمتحدث به أو الخبر ، أي أنَّه مقصود المتكلم من خلال الفعل النطقي.

كما أن سيرل أعاد النظر أيضاً في تصنيف أوستين للأفعال الكلاميَّة ، فبيَّن ما فيه من أوجه الضعف ، فقدَّم تصنيفاً بديلاً قائماً على أسسٍ منهجيَّةٍ ثلاثة تتمثل في (الغرض الإنجازي ، واتجاه المطابقة ، وشرط الإخلاص) ، وجاء تقسيمه على النحو التالي(٣٤):

١. الإخباريات (التقريريات) : وغرضها الإنجازي هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة ، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب ، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم ، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عند أوستين ، وكثيراً من أفعال الاحكام.

٢. التوجيهات (الأمريات والطلبيات) : وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما ، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة ، والشَّرط العام للمحتوى القضوي فيها هو دائماً فعل السامع شيئاً في المستقبل ، أمَّا الشَّرط المعد لها فهو قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه ، ويدخل في هذا الصنف الاستفهام ، والأمر ، والرجاء ، والاستعطاف ، والتشجيع ، والدعوة... الخ.

٣. الوعديات (الالتزاميات) : وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل ، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ، وشرط الإخلاص هو القصد ، والمحتوى القضوي فيها دائماً فعل المتكلم شيئاً في المستقبل ، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المتكلم ، والشرط المعد هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم نفسه به.

٤. التعبيريات (البوحيات) : وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي حيال الواقعة التي تعبر عنها القضية ، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة ، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات ، وهذا ما يسميه سيرل (الاتجاه الفارغ) ، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية ، والشَّرط المعد لأغلب البوحيات هو تحقق المحتوى القضوي سلفاً ، إذ إنَّ المتكلم إنَّما يعبر فيها عن حالته النفسية تجاه الواقعة المفروض تحققها.

٥. الاعلانيات (الإيقاعات) : والغرض منها إحداث تغيير في العالم ، بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي بمجرد الإنشاء الناجح للفعل الكلامي ، وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال أنَّها تحدث تغييراً في الوضع القائم ، فضلاً عن أنَّها تقتضي عرفاً غير لغوي، واتجاه المطابقة قد يكون من الكلمات إلى العالم أو بالعكس ، وهو ما يسميه سيرل (الاتجاه المزدوج) ، وتتسع هذه الأفعال لتشمل أفعال البيع ، والشراء ، والهبة ، والوصية ، والوقف، والإجارة ، والزواج ، والطلاق ... الخ ، وهذه الأفعال كلها.

وقد توصل سيرل في مرحلةٍ من مراحل بحثه إلى تصنيف الأفعال الكلاميَّة من حيث قوتها الإنجازيَّة إلى أفعال مباشرة ، وغير مباشرة.

فالأفعال الإنجازية المباشرة عنده ((هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً مطابقة تامَّة وحرفيَّة لما يريد أن يقول))[٣٥] ، أي أنَّ ما يتلفظ به المتكلم هو نفسه معنى ما تحمله دلالة الجملة في مختلف السياقات الحواريَّة.

أمَّا الأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة ((فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازيَّة مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدى على نحو غير مباشر، من خلال فعلٍ إنجازي آخر))[٣٦] ، فيكون ما يقوله المتكلم غير مطابق لما يعنيه ، فهو يريد خلاف ما يُفهم من ظاهر اللفظ ، وبالتالي يكون الفعل اللغوي المتحقق غير مباشر.

ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّه قد يجتمع أكثر من فعل كلامي في منطوقٍ إنجازي واحد يجمعهما مقام اتصالي تداولي واحد ، وكل فعل يعبِّر عن دلالة إنجازيَّة تختلف عن دلالة الفعل الآخر ، وتسمى

هذه المتواليَّة من الأفعال بالفعل الكلي أو البنى الكبرى ، أي أنَّها متواليَّة فعليَّة إنجازيَّة متكونة من عدد من المنطوقات الإنجازيَّة الفرعيَّة بشكلٍ متتالٍ(٣٧).

وينبغي الإشارة إلى إشكالية مفادها : هل أنَّ أصناف الأفعال الكلاميَّة تتعلق بالإنجازيَّات الصريحة أو غير الصريحة؟ وبعبارةٍ أخرى هل نلحظ هذه التقسيمات في الفعل الكلامي المباشر أو غير المباشر؟ وقد ذهب الدارسون إلى أنَّ هذه التصنيفات هي مقاصد للكلام في جوهرها ، ومن ثم يمكن أن تظهر في الإنجاز مباشراً كان أو غير مباشر(٣٨).

تطبيقات الافعال الكلامية في المحاورات النحوية:

قد تنوَّعت طرائق توظيف الفعل الكلامي بجميع تقسيماته في محاورات النحويين، إذ إنَّ لهذه الأفعال بجميع أقسامها مصاديق كثيرة في تراثنا النحوي ، كالذي نراه في محاورة أبي علي الجرمي (ت٢٢٥هـ) مع أبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) في مسألة (رافع المبتدأ) فقد ((حكي أنَّه اجتمع أبو عمر الجرمي وأبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء، **فقال الفراء للجرمي** : أخبرني عن قولهم (زيدٌ منطلقٌ) لِمَ رفعوا زيداً؟ **فقال له الجرمي** : بالابتداء ، **قال له الفراء**: ما معنى الابتداء؟ **قال** : تَعْرِيته من العوامل، **قال له الفراء** : فأظهره ، **قال له الجرمي** : هذا معنى لا يظهر، **قال له الفراء** : فمثله إذاً ، **فقال الجرمي**: لا يتمثل ، **فقال الفراء**: ما رأيت كاليوم عاملا لا يظهر ولا يتمثل ، **فقال له الجرمي**: أخبرني عن قولهم: (زيد ضربته) لِمَ رفعتم زيداً؟ **فقال**: بالهاء العائدة على زيد ، **فقال الجرمي**: الهاء اسم فكيف يرفع الاسم؟ **فقال الفراء**: نحن لا نبالي من هذا ، فإنَّا نجعل كلَّ واحدٍ من الاسمين إذا قلت (زيدٌ منطلقٌ) رافعاً لصاحبه ، **فقال الجرمي**: يجوز أن يكون كذلك في (زيدٌ منطلقٌ) ؛ لأنَّ كل اسم منهما مرفوع في نفسه فجاز أن يرفع الآخر ، وأمَّا الهاء في (ضربته) ففي محل النصب ، فكيف ترفع الاسم؟ **فقال الفراء**: لا نرفعه بالهاء وإنَّما رفعناه بالعائد على زيد ، **قال الجرمي** : ما معنى العائد؟ **قال الفرَّاء** : معنى لا يظهر، **قال الجرمي**: أظهره ، **قال الفرَّاء**: لا يمكن إظهاره ، **قال الجرمي**: فمثله ، **قال**: لا يتمثل ، **قال الجرمي**: لقد وقعت فيما فررت منه، فحكي أنَّه سُئل الفراء بعد ذلك **فقيل له**: كيف وجدتَ الجرمي؟ **فقال**: وجدته آية ، وسُئل الجرمي **فقيل له**: كيف وجدت الفراء؟ **فقال**: وجدته شيطاناً))(٣٩).

من المعروف أنَّ الجرمي من المدرسة البصريَّة ، والفراء من المدرسة الكوفيَّة ، فكلاهما يعرف وجهة نظر المدرسة الأخرى حول مسألة عامل الإبتداء ، وهما لا يريدانِ الأخبار عن العامل فحسب ، وإنَّما إفحام المقابل عند الوصول إلى نهاية المطاف باستغلال عدم معرفة القصد ما يريد الآخر التوصل إليه ، وقد بدأ الحوار بفعلٍ توجيهي بقول الفراء : أخبرني ، أي بمعنى وضح لي ، والإيضاخ غير الإخبار ، وسؤالات الفراء : لِمَ رفعوا زيداً؟، ما معنى الإبتداء؟ هي أفعال كلاميَّة مباشرة وإن جاءت بصيغٍ مختلفةٍ ، كالاستفهام الخالي من الذهن ، والأمر المُنجز للجواب دون تضمين لمعنى آخر، وإجاباته أيضاً كانت بأفعالٍ مباشرةٍ سواءٌ في حال الإثبات مثل : نحن لا نبالي من هذا ، فإنَّا نجعل كلَّ واحدٍ من الاسمين إذا قلت (زيدٌ منطلقٌ) رافعاً لصاحبه ، أم في حال النفي مثل : لا نرفعه بالهاء وإنَّما رفعناه بالعائد على زيد ، أمَّا جوابات أبي علي الجرمي : لا يظهر ، لا يتمثل ، فقد أثارت تعجب الفراء بقوله : ما رأيت كاليوم عاملاً لا يظهر ولا يتمثَّل ، وهو فعلٌ تعبيري غير مباشر أفاد معنى التعجب وليس ما أظهره اللفظ من معنى ، أمَّا مسألة الإقناع فإنَّها لا تخلو من استيهام ، فقد كانت مقاطعة الجرمي بفعل توجيهي آخر وهو : أخبرني عن قولهم: (زيد ضربتُه) لِمَ رفعتم زيداً؟ ، لم يكن الغرض والقصد منها الاستفهام الظاهر ، وإنَّما قصد بها معنى الاستدراج ، فضلاً عن مبادلة الأدوار بصورةٍ غير مباشرة بفعل سياقي توضيحي ؛ ليكون هو المبادر لا الفراء ، فاستدراج الفراء للجرمي لم يكن مقصوداً بنيَّةٍ مسبقةٍ ، وإنَّما كان القصدُ حاصلاً عبر الإجراءات المُتَّبعة في الحوار ، أمَّا الجرمي فكان سؤاله بنيَّة استدراج الفراء إلى ما وصل إليه أولاً.

والنتيجة التي خَرَجَ بها النحويَّانِ نتيجةٌ ممتعةٌ لا تخلو من نكتةٍ ، فجواب الفراء عن الجرمي كيف رأيته؟ قال: رأيته آية ، أمَّا الجرمي فقال عن الفراء : رأيته شيطاناً ، فكان جوابُهما بفعلين غير مباشرين يخرجُ الأول إلى معنى المدح والثناء والتعجب ، وهو فعل تعبيري فسَّر ما شعرَ به الفراء اتجاه الجرمي ، أمَّا الآخر فهو مدحٌ بما يشبه الذم ، فليس لفظ الشيطان ذمَّاً وإنَّما إشارة إلى دهاء الفراء وذكائه ، وهو أيضاً فعل تعبيري بما أحسَّ به الجُرمي تجاه الفراء.

أمَّا السياق الذي تأطر به فعلُ المحاورة فكان لأمرين : الأول : الكشف عن مستوى المتحاورينِ ، والآخر : محاولة استدراج الخصم من أجل أن يناقض نفسه ، فضلاً عن المعنى الحقيقي وهو معرفة تفصيل الأصل المُعتمد عليه الرفع بالابتداء.

وتظهر الأفعال الكلاميَّة أيضاً في الحوار الذي دارَ بين أبي العباس بن ولاد(ت٣٣٢هـ) ، وأبي جعفر النحاس (ت ٣٠٧هـ) في مسألة (القول في صحة تركيب : مررت برجل أسهل خدَّ غُلامٍ أشدّ سواد طُرَّةٍ) ، إذ ((سأل أبو العباس **فقال:** كيف تقول: مررتُ برجلٍ أسهل حدَّ غلامٍ أشدّ سواد طُرَّةٍ ، **فقال أبو جعفر:** في هذه المسألة وجوه : أجودها أن تزيد فيها ألفاً ولاماً ، فتقول : مررتُ برجلٍ أسهل خدّ الغلام أشدّ سواد الطُّرةِ ، وإنمَّا قلنا : إنَّ هذا أجودُ الوجوه ؛ لأنَّ سيبويه قال: ((اعلم أنَّ كينونة الألف واللام في الاسم الآخر أكثرُ وأحسنُ من أن لا يكون فيه الألف واللام ؛ لأنَّ الأول في الألف واللام وغيرهما ههنا على حالٍ واحدةٍ))، يعني سيبويه أنَّ الأول لا يتعرف بإدخالك الألف واللام في الثاني ، **ألا ترى أنَّ قولك:** مررتُ بزيدٍ أسهلُ خدّ الغلام أشد سواد الطرّة أنَّه لم يتعرف أسهل ولا أشد، فاختير دخول الألف واللام ليكونا بدلاً من الهاء ، وإن شئتَ جئت بالهاء فقلتَ : مررتُ برجلٍ أسهل خدّ غلامه أشدّ سواد طرَّته ، **قال أبو العباس** : في هذه الأجوبة ما قد أحلت فيه، على قول النحويين أجمعين ، وليس فيها جواب عمَّا سألناك عنه ، وذلك أنَّا سألناك عنها بلا ألف ولا لام ولا هاء ، فزدتَ فيها ما ليس فيها ، وكان ينغي أن ترد المسألة فتقول: هي خطأ على هيئتها إذا لم يدخل فيها الألف واللام والهاء ، وتبيَّنَ من أيّ وجه كانت خطأ، أو تجيب فيها إن كانت صواباً على هيئتها كما أُلقيت))[٤٠].

فقد جاءت هذه المحاورة عبارة عن شرحٍ مفصَّلٍ ومسهبٍ ، ذُكرت فيها آراء بعض العلماء ، وقد عضَّد النحاس ما ذهب إليه بأقوالهم ، فكانت أفعالها مباشرة بدءاً من سؤال ابن ولاد : كيف تقول: مررت برجل أسهل خدّ غلامٍ أشد سواد طرة؟ إذ الجملة الاستفهاميَّة كانت واضحةً ليس فيها معنى آخر خرجت إليه ، واستمرت الأفعال الكلاميَّة المباشرة في جواب النحاس بدءاً من قوله : (وإنمَّا قلنا : إنَّ هذا أجودُ الوجوه؛ لأنَّ سيبويه ...) وكان أغلبها بصيغة الاعتراض والرد (قولك... قلنا).

أمَّا الأفعال الكلاميَّة غير المباشرة فتشكَّلت بانطلاقة النحاس في جوابه بأفعالٍ توجيهية في قوله: (في هذه المسألة وجوه أجودها ...) ، إذ كان جوابه عن غير المسألة المطروحة ، فذكر وجوهاً غيرَ الوجه المطلوب الإجابة عنه ، فذكر وجه تعريف(الطرة) بالألف واللام ، ووجه آخر بإضافته إلى الضمير المتصل ، واسترسل موضحاً ، فكان جوابه دليلاً على عدم معرفته للوجه المطروح في المسألة ، لذا كان قصد الالتفات حول المسألة هو ما يوهم إجابته عنها ، بدليل مقاطعة ابن ولاد له بقوله: (في هذه الأجوبة ما قد أحلت فيه ، على قول النحويين أجمعين ، وليس فيها جواب عمَّا سألناك عنه) ، واستمر بعد هذه المقاطعة بالمسألة التي طرحها ، وهنا كان استغفالاً للمقاطعة معبِّراً عن قدرته في الإجابة بحسب ظنِّه ، فقد انجز فعلاً وهو الإجابة بصرف النظر عن صحتها ، وكذلك الفعل السياقي التوضيحي وهو التقاضي عن ردّ ابن ولاد بتخطئته بصورة غير مباشرة ، ففعل الإنجاز في قول ابن ولاد وردّه كان فعلاً توضيحيَّاً ، فقد أنجز فعلَ تخطئة ابن النحاس بقوله سالف الذكر ، وكذلك كان فعلاً تعبيريَّاً في الوقت نفسه إذا ما نظرنا إليه من جانب ذم أسلوب الخروج عن مسار المسألة.

أمَّا طابع الفعل النصي فقد كان هروباً ذكيَّاً عن المسألة ، فلم تكن إجابته عن السؤال المطروح، وإنَّما لمسائل لم تطرح أصلاً ، وتمويهاً على عدم معرفته الإجابة الصحيحة ، وقد أوقعه فرارُهُ المتعثر هذا في مسألةٍ أشد صعوبة وهو تخريج (المسالة)، ولم يذهب له أيٌّ من النحويين الذين استشهد بآرائهم، وهذا الأسلوب في المحاورة - وإن كان خروجاً عن شروطها وقواعدها - لم يُفسد من القضية المطروحة شيئاً ، فهو لم يجب إجابةً خاطئةً ، وإنَّما هناك رأي آخر فيها ، ثم يعتمد فيما بعد على أنَّه رأيٌ أو وجه آخر.

وتظهر الأفعال الكلامية كذلك في المحاورة التي دارت بين أبي زكريا الفراء والأصمعي، فعن ((عمر بن شبَّة **قال:** حدثني الخليل بن عمرو **قال** : لقي الأصمعي الفراء على الجسر ببغداد ، **فقال له:** أسألك ؟ **فقال:** سل يا أبا سعيد ، **فقال** : ما معنى قول الشاعر:

أَصمَّ دعاءُ جارتنا تحجَّى لآخــرنا وتنسى أوَّلينا

فقال الفراء : صادفتْ قوماً صمَّاً ، كما قال الشاعر:

فأصممتُ عمراً وأعميتُه عن الجود والمجد يوم الفخار

أي صادفته أعمى ، **قال** : وحكى الكسائي : دخلت بلدةً فأعمرتها : وجدتها عامرة، ودخلت بلدةً فأخربتها : وجدتها خراباً ، **فقال الأصمعي للفراء** : أنت أعلم الناس ، ومضى ولم يكلِّمه بعدُ))[٤١].

يمكن أن يكون سؤال الأصمعي : (أسالك) فعلاً توجيهيَّاً القصد منه الإختبار ، ولربما يكون لغير ذلك ؛ لحاجةٍ في نفس الأصمعي ، إذ المعلوم أنَّ السؤال بحدِّ ذاته يحتاج إلى إجابة ، ولا يأبه بطرحه على أيٍّ كان سوى الإختلاف بالأسلوب ، فهل يا ترى نستطيع أن نصنف أسلوب الأصمعي هذا فعلاً مباشراً مؤدَّباً ، بمعنى انَّه طلب بتأدب؟ إذ يمكن الاستدلال على هذا بإجابته الأخيرة : أنت أعلم الناس، ولم يغب عن بال الفراء ذلك القصد فكان مُدركاً لنيَّة الأصمعي ، فأجابه بفعل مباشر وهو قوله : سل يا أبا سعيد ، فلما سمع سؤاله بادَرَ إلى إجابته بفعلٍ إخباري ، وهو الاستشهاد بالنقل عن الكسائي والموروث عن العرب ، ولم تكن الغاية هنا الإجابة عن السؤال فحسب ، وإنَّما إيصال رسالة إلى الأصمعي بأنَّي -أي الفراء - أملك غيرها من المعاني للاستدلال ، وما سؤالك هذا بالأمر البعيد المنال أو الصعب، والدليل أنَّه مضى ولم يكلِّمه بعد ، أمَّا موقف الأصمعي من إجابة الفراء فكانت بفعلٍ تعبيري وهو: أنت أعلم الناس ، الذي دلَّ على إعجابه به.

ومن صور الأفعال الكلاميَّة الواردة في الحوار النحوي ، ما أورده السيرافي في مسألة الصيغ التي تنوب عن الأفعال ، وهي أسماء الأفعال ، ومن هذه الصيغ تسمية الفعل بأسماء جامدة ، نحو : صه ، ومه ... ، أو مشتقة ، نحو : تراك ، ومناع ، وحذار ، أو منقولة عن ظرف أو جار ومجرور ، نحو : عندك ، إليك ، أمامك ، وراءك ، دونك ، مكانك ، عليك... وهي ((أسماء وضعت موضع فعل الأمر، ولا يجوز أن يذكر الفعل معها))[٤٢] ، وهذا يعني أنَّ عمل هذه الأسماء هو عمل الأفعال بسبب نيابتها عن الأفعال الحقيقية في المعنى ، فهي تقوم مقام فعلي الأمر والنَّهي في الدلالة وفي الوظيفة ، وكذلك من حيث اللزوم والتعدي ، فهي ترفعُ فاعلا مستتراً ، وتنصبُ مفعولاً إذا نابت عن المتعدي.

فقد أورد السيرافي حواراً افتراضيَّاً بصيغة الاعتراض والرد ، يُورد فيه اعتراض المعترض على سيبويه ، وذلك في ((باب من الفعل سُمّي الفعل فيه بأسماء لم تؤخذْ من أمثلة الفعل الحادث))[٤٣] بسبب

تقسيمه لهذه الأسماء على ما يفيد الأمر ، وما يفيد النهي، إذ يقول : ((**فإن قال قائل** : لِمَ فصل سيبويه بين الأمر والنهي في أول هذا الباب ، وليس في شيء من هذه الأفعال نهيٌ، بل لا يجوز أن يكون فيها نهيٌ؛ لأنَّه ليس شيءٌ من هذه المصادر التي هي اسم الفعل يُقدر فيها (لا) التي هي للنهي ، وإنَّما تقع موقع الأمر المحض ، **قيل له** : إنَّما سمَّاه نهياً بالمعنى لا بدخول حرف نهي؛ لأنَّه إذا قال : اتركها ، وامنعها ، فالمعتاد في الكلام أن يقال نهى عنها ، وإذا قال : صه صه، فأمره بالسكوت والكف ، فقد نهاه عن الكلام والإقدام ، والأكثر المألوف أنَّه إذا قال له : اسكت ، أنَّه قد نهاه عن الكلام))[٤٤] ، فالاعتراض هنا موجَّه على أساس نيابة هذه الأسماء عن الأفعال ، وهذه الأسماء لا تنوب مطلقاً عن فعل النهي المتمثِّل بصيغة (لا تفعل) ، بل تنوب كلها عن فعل الأمر المحض المتمثِّل في صيغة (افعل)، فكيف جاز أن يقسمها سيبويه إلى أمر ونهي وليس فيها شيء يدلُّ على صيغة (لا تفعل)؟

فالسيرافي ومن قبله سيبويه لم ينظرا إلى الصيغ التي تنوب عنها هذه الأسماء ، وإنَّما نظرا إلى المعنى الحاصل منها ، وهذا يدلُّ على أنَّ هذه الأسماء عند السيرافي تكتسب قوتها الإنجازيَّة المباشرة من خلال التَّداول الاجتماعي المعتاد عليه في استعمالها ، والتأثير الناتج عن تكلُّم المُتكلِّم بها ، فالمتكلم إذا قال: (صه) التي تنوب عن (اسكتْ) فقد أنجز فعلا كلاميًّاً مباشراً يهدف إلى التأثير في المخاطب للتوقف عن فعل الكلام ، والكفّ عن إيقاع المحتوى القضوي ، فالقوة الإنجازيَّة في هذا الاسم قوة إنجازيَّة ناهية تعزم على إيقاف الفعل ، فهي تمثِّل وسماً لمقولة السلب ، وهي ليست قوة إنجازيَّة آمره تُريد إيقاع الفعل وإن كان لفظها لفظ الأمر ، وهذا يدلُّ على الاسترسال الدلالي بين الأمر والنهي الموجَّه من خلال البعد التَّداولي ، فقد يختلط معنى الأمر بمعنى النهي بسبب تعجيم البنية التصريفيَّة للأمر بما يفيد النهي، وذلك نحو قولك: (اترك زيداً) فالفعل اللفظي (اترك) يدلُّ على الأمر ، أمَّا الفعل المنجز فيدلُّ على النهي[٤٥].

يؤكد ذلك جعل سيبويه ألفاظاً من مثل : حَذَرَك وحَذَارِك مفيدة للنهي[٤٦] ، وقد ردّ عليه المبرد ذلك ملاحظاً أنَّهُ إذا جعلنا (احذر) نهياً كان كل أمر نهياً عن خلافه[٤٧] ، فالمبرّد يذهب إلى أنَّ لفظ

(افعل) لا يمكن أن يكون إلاَّ أمراً مهما كانت مادتهُ المعجميَّة التي يدلُّ عليها ، وأنَّ لفظ (لا تفعل) لا يمكن أن يكون إلاَّ نهياً ، وعليه لايمكن أن يكون معنى (افعل) نهياً إلاَّ عن طريق الاقتضاء[٤٨].

وقد ردَّ السيرافي على المبرد معلِّلاً لسيبويه بكون (تجنَّب) و(احذَر) و(ابْعُد) ألفاظاً من الأمر ، ولكن جرت ((عادة كلام الجمهور أن يقال : نهي وإن كان بلفظ الأمر كقولك : تجنَّب فلاناً ، واحْذَر فلاناً ، وابْعُد عن فلانٍ ، فإنَّما يقال : نهاه عنه ، فجرى سيبويه على اللفظ المعتاد))[٤٩] ، فعادة كلام الجمهور هي التي وجَّهت المحتوى القضوي لهذه الصيغ من الأمر إلى النهي ، وإنْ كان لفظها لفظ الأمر ، ولكن القوة الإنجازيَّة التي تضمنتها هذه الأفعال هي قوة ناهية بسبب من تداول هذه الصيغ اجتماعيَّاً في النهي ، وهذا يقارب ما نصّ عليه سيرل من أنّ القوة الإنجازيَّة التي تحملها الأفعال الكلاميَّة المباشرة أوسع من أن تقتصر على الجانب الشكلي للمنطوق ، بل هي مرتبطة بالعرف اللغوي الذي جرت على استعماله المجتمعات اللغويَّة[٥٠].

ومن أهم صور الإنجازيَّات الكلاميَّة في المحاورات النحويَّة ، الحوارُ الافتراضي الذي أورده الجرجاني (ت٤٧١هـ) في مسألة بناء اسم لا النافية للجنس إن كان مضافاً ، نحو: لا غلامَ رجلٍ عندك، إذ يمتنع محقِّقو النحو من بناء المضاف مع (لا) ، والفتحة فيه فتحة نصب لا فتحة بناء ، وعلل الجرجاني ذلك بأنَّ ذلك يؤدي إلى جعل ثلاثة أشياء شيئاً واحداً ، وهي المضاف والمضاف إليه و(لا)[٥١] ، وهو في حواره يفترض مخاطباً يجري معه الحوار، وهذا المخاطب ليس حاضراً في الحوار حضوراً عينيَّاً ، بل يستحضره استحضاراً ذهنيَّاً ، إذ يقول ((**فإن قلت:** فكيف زعمت في قولهم: لا رجلَ ظريفَ عندك ، أنَّ الصفة والموصوف يُبنيان مع (لا) ، **فالجواب إنَّا قلنا** : إنَّ الصفة والموصوف يُجعلان اسماً واحداً كخمسةَ عشرَ، ثم يدخل لا عليه وبين الصفة والموصوف من الاتصال والامتزاج ما ليس بين المضاف والمضاف إليه))[٥٢] ، فالفعل الكلامي المُنجز في مجمل المسألة يتعلق بالتصريح بنصب الاسم الواقع بعد لا النافية للجنس إن كان مضافاً وعدم بنائه على الفتح مفرِّقاً بين هذه الحالة وحالة مجيئه موصوفاً ، ويكون فيها اسم لا النافية للجنس مبنيَّاً.

وممَّا ورد بهذه الصيغة الحواريَّة (فإن قلت : ... قلنا) عند الجرجاني مسألة ما يستعمل حرف جر مرة وغير حرف جر مرة أخرى ، ومنها (مذ ومنذ) وحكم الاسم الواقع بعدهما ، فصرَّح بأنَّهما إن كانا

اسمين كان ما بعدهما مرفوعاً ، والمرفوع بعدهما فيه ثلاثة أوجه[٥٣] ، أحدهما : التنكير ، نحو: لم أرك مذ يومانِ ، والقصد فيه أول الوقت آخره ، والثاني : التعريف ، نحو : لم أرك مذ المحرَّم ، وقصد المتكلِّم فيه أنَّه لم يره الشهر كله ، ويقال ذلك في نهاية الشهر ، والثالث : أن تريد أول الوقت ، نحو : ما رأيته مذ يومُ الجمعة ، والجر لا يكون إلاَّ بالوجه الأخير ، وهو قصد أول الوقت ، ثم وظَّف ذلك في حوارٍ افتراضي بقوله : ((**فإن قلتَ** : فما الفصلُ بين أن تقول : ما رأيته مذ يومِ الجمعة ، فجررتَ أو رفعتَ وأنت تريد أول الوقت ، وبين أن تقول : ما رأيته مذ يومُ الجمعة ، وأنت تقصد أول الوقت وآخره؟ **فالجواب أنَّك إذا قلتَ** : ما رأيته مذ يومُ الجمعة ، تُريدُ أول الوقت وآخره ، كان بمنزلة قولك، مذ اليوم، في أنَّ الرؤية لم تلتبس بيوم الجمعة بوجهٍ ، **كما أنك إذا قلت** : ما رأيته مذ يومانِ ، كان المعنى أنَّ الرؤية لم تحصل في جزء من اليومينِ البتَّة ؛ لأنَّ يوم الجمعة ها هنا بمنزلة أن تقول : ما رأيته اثنتا عشرة ساعة أو عَشْرُ ساعات مثلاً ، **وإذا قلت** : ما رأيته مذ يومِ الجمعة ، فجررتَ على ابتداء الغاية ، كان المعنى أنَّ الرؤية انقطعت في يوم الجمعة، وأنَّك رأيته فيه ثم فارقك ، فتكون الرؤية ملتبسة ببعض يوم الجمعة ، كما **أنَّك إذا قلتَ**: انقطع الرؤية في يومِ الجمعة ، كان مُحتَمِلاً هذا وجارياً مجرى قولك: افترقنا يومَ الجمعة...))[٥٤].

فالفعل في هذه المحاورة كلامي غير المباشر ، وهو من صنف الإعلانيات ، وبتحليله نجد أنَّ فعل القول تمثَّل بالتركيب الجدلي القائم على طرح الإشكال ثم الإجابة عنه ، موظِّفاً أداة الشرط (إن) مع فعل الشرط وجوابه ، وقد تضافر فعل المحتوى القضوي ، أمَّا الفعل الكلامي فمضمر نتوصل إليه بتحليل المحتوى القضوي مع سياق الحوار ، والملاحظ أنَّ الفعل الكلامي الضمني التصريحي وعبر توظيف الطريقة الجدليَّة كان أقوى من الفعل الكلامي الظاهر.

الخاتمة

أسفر البحث عن مجموعة من النتائج ، يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية :

١. إنَّ الأفعال الكلاميَّة من أهم الأسس التي قامت عليها اللسانيات التداوليَّة ، وقد ظهرت هذه النظريَّة على يد الفيلسوف الأمريكي (جون أوستين) ، واكتملت معالمها على يد تلميذه (جون سيرل).

٢. إنَّ النحويين لم يكونوا غافلين عن أهميَّة مفهوم الأفعال الكلاميَّة في نجاح العمليَّة التحاوريَّة، وإثبات وجود هذا المفهوم في تراثنا النحوي يؤكِّد أصالته وسبقه في الاعتماد على كلِّ ما يحقِّق الفائدة المرجوة من بناء الجملة في السياقات المختلفة ، وهذا الوعي المبكِّر بأهميَّة الأفعال الكلاميَّة في العمليَّة الحواريَّة قد تجلَّى بوضوحٍ في فكر النحويين حتى أصبح مرتكزاً أساسيًّا يعتمدونه في توجيه دلالات بعض الجمل ، والكشف عن اللطائف التعبيريَّة الدقيقة المتضمَّنة فيها.

٣. يمكن أن يجتمع في المحاورات النحويَّة أكثر من فعل كلامي واحد في منطوقٍ إنجازي واحد يجمعهما مقام اتصالي تداولي واحد ، وكل فعل يُعبِّر عن دلالة إنجازيَّة تختلف عن دلالة الفعل الآخر.

٤.إنَّ طرائق توظيف الأفعال الكلامية بجميع أصنافها قد تنوَّعت في محاورات النحويين ، وقد وجدنا أنَّ لهذه الأفعال بجميع أقسامها مصاديق كثيرة في تراثنا النحوي.

الهوامش

(١) ينظر : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، محمد الأخضر الصبيحي : ٤٩.

(٢) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، الدكتور محمود أحمد نحلة : ٤١ ، والأفعال الإنجازيَّة في العربية المعاصرة دراسة دلاليَّة ومعجم سياقي ، الدكتور علي محمود حجي الصرَّاف : ١٠ ، والتَّداوليَّة بين النظرية والتطبيق ، الدكتور أحمد كنون : ٣٤٣.

(٣) ينظر : التَّداوليَّة بين النظرية والتطبيق : ٣٤٣.

(٤) ينظر : التَّداوليَّة عند العلماء العرب دراسة تداوليَّة لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي ، الدكتور مسعود صحراوي : ١٧.

(٥) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٥٩.

(٦) ينظر : دائرة الأعمال اللغويَّة مراجعات ومقترحات ، شكري المبخوت : ٩.

(٧) ينظر : نظرية الحدث اللغوي تحليل ونقد ، محمد العبد : ١٣.

(٨) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٥٩ - ٦٠ .

(٩) ينظر : الفعل الكلامي النصي قصيدة (وتعطَّلت لغة الكلام) لمفدي زكريا أنموذجاً ، الدكتور عبد الحليم بن عيسى ، ضمن كتاب التَّداوليَّة في البحث اللغوي والنقدي ، تحرير : الدكتورة بشرى البستاني : ٣١٨.

(١٠)مدخل إلى علم اللغة النصي ، فولفجانج هاينه من ، وديتر فيهفيجر : ٦٥.

(١١)ينظر : الفعل الكلامي النصي قصيدة (وتعطَّلت لغة الكلام) لمفدي زكريا أنموذجا : ٣١٨ - ٣١٩.

(١٢)نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ، أوستين : ١٧.

(١٣)ينظر : دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداوليَّة ، بوفرومة حكيمة : ١١ - ١٢ ،

(١٤)ينظر : قضايا تداوليَّة في الخطاب القصصي القرآني قصة سيدنا يوسف أنموذجاً ، إيمان جربوعة : ٥٥٩.

(١٥)ينظر : الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي ، الدكتور مؤيد آل صوينت : ٣١.

(١٦)المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو : ٧.

(١٧)ينظر : التَّداوليَّة عند العلماء العرب دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي : ٤٠.

(١٨)ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤٢ - ٤٣.

(١٩)ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤٣ ، واللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز : ١٩١.

(٢٠)ينظر : مبادئ التَّداوليَّة ، جيوفري ليتش : ٢٣٠.

(٢١)ينظر : التَّداوليَّة اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول وجاك موشلار : ٣٠.

(٢٢)ينظر : الأفعال الإنجازيَّة في العربية المعاصرة دراسة دلاليَّة ومعجم سياقي : ٣٠.

(٢٣)ينظر : التَّداوليَّة اليوم علم جديد في التواصل : ٣٠ - ٣١ ، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤٣، والخطاب القرآني دراسة في البعد التَّداولي : ٣٣ ، واستراتيجيَّة الخطاب الحجاجي دراسة تداوليَّة في الإرساليَّة الإشهاريَّة العربيَّة ، الدكتور بلقاسم دفة ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة – الجزائر ، العدد العاشر ، ٢٠١٤ : ٤٩٣.

(٢٤)ينظر : الأفعال الإنجازيَّة في العربية المعاصرة دراسة دلاليَّة ومعجم سياقي : ٢٩.

(٢٥)ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤٤.

(٢٦)ينظر : الخطاب القرآني دراسة في البعد التَّداولي : ٣٣.

(٢٧)ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤٥ - ٤٦ ، ٦٧ - ٦٨ ، والتَّداوليَّة عند العلماء العرب دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي : ٤١ - ٤٢ ، ونظرية الأفعال الكلاميَّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، طالب سيد هاشم الطبطبائي : ٧ - ٩ ، والنظريَّة البراجماتيَّة (التَّداوليَّة) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، الدكتور محمود عكاشة : ٩٩ - ١٠٠.

(٢٨)ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٦٩ - ٧٠ ، ونظريَّة الأفعال الكلاميَّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب : ١٠–١١ ، والنظريَّة البراجماتية اللسانيَّة التداوليَّة دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ : ١٠١ ، والتَّداوليَّة بين النظريَّة والتطبيق : ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٢٩)ينظر : الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداوليَّة ، الدكتور خالد ميلاد : ٥٠٠.

(٣٠)ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٧٠.

(٣١)ينظر : استراتيجيَّات الخطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة ، عبد الهادي بن ظافر الشهري : ١٥٧.

(٣٢)المقاربة التَّداوليَّة ، فرانسواز أرمينكو : ٦٣.

(٣٣)ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٧١ - ٧٢ ، وبين تداوليَّة الأفعال الكلامية والحجاج مقاربة مفاهيمية ، حمدي منصور جودي : ١٠٢.

(٣٤)ينظر : المقاربة التَّداوليَّة : ٦٦ - ٦٨ ، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٧٨ - ٨٠ ، ونظريَّة الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب : ٣٠ - ٣٢ ، وبين تداوليَّة الأفعال الكلامية والحجاج مقاربة مفاهيمية : ١٠٣ - ١٠٤ ، والأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداوليَّة ، محمد مدور (أطروحة دكتوراه) : ٩ - ١٠.

(٣٥)آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٨٠ - ٨١.

(٣٦)المصدر نفسه : ٨١.

(٣٧)ينظر : الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة تداوليَّة ومعجم سياقي : ١١٨.

(٣٨)ينظر : الفعل الكلامي في الخطاب النحوي دراسة في كتاب المقتصد في شرح الإيضاح للجرجاني ، الدكتور علي عبد الوهاب الوردي ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد : ٧١ ، ٢٩ أيلول ٢٠٢٢م : ٢٧٥.

(٣٩)الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين ، والكوفيين، أبو البركات الأنباري : ٤٩/١ ، وأنظر : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، أبو البركات ابن الأنباري : ١١٦.

(٤٠)سِفر السعادة وسفير الإفادة ، علم الدين السخاوي : ٥٩٩/٢ وما بعدها ، وقد استغرق نص الحوار أكثر من عشرين صفحة إلاَّ أنَّنا اقتصرنا على ما يفيد التحليل.

(٤١)مجالس العلماء ، مجلس ٨٤ : ١٣٦.

(٤٢)شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي : ١٤٢/٢.

(٤٣)كتاب سيبويه : ٢٤١/٢.

(٤٤)شرح كتاب سيبويه : ١٤٣/٢ - ١٤٤.

(٤٥)ينظر : الإنشاء في العربية بين الدلالة والتركيب دراسة نحوية تداوليَّة : ١٣٨ - ١٣٩.

(٤٦)ينظر : كتاب سيبويه : ٢٤٩/١.

(٤٧)ينظر : شرح كتاب سيبويه : ١٥٠/٢.

(٤٨)ينظر : الإنشاء في العربية بين الدلالة والتركيب دراسة نحوية تداوليَّة : ١٣٩.

(٤٩)شرح كتاب سيبويه : ١٥٠/٢.

(٥٠)ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤٧.

(٥١)ينظر : المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني : ٨٠٩/٢.

(٥٢)المصدر نفسه : ٨٠٩/٢.

(٥٣)ينظر : المصدر نفسه : ٨٥٧/٢ - ٨٥٨.

(٥٤)المقتصد في شرح الإيضاح : ٨٥٨/٢.

مجلة الدراسات المستدامة
JOSS
Journal of Sustainable Studies

المصادر والمراجع

- استراتيجيَّات الخطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ ، ٢٠٠٤م.
- استراتيجيَّة الخطاب الحجاجي دراسة تداوليَّة في الإرساليَّة الإشهاريَّة العربيَّة ، الدكتور بلقاسم دفة ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة – الجزائر، العدد العاشر ، ٢٠١٤م.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، الدكتور محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، (د.ط) ، ٢٠٠٢م.
- الأفعال الإنجازيَّة في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي ، الدكتور علي محمود حجي الصرَّاف ، منشورات مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداوليَّة ، (أطروحة دكتوراه) ، محمد مدور ، إشراف : الدكتور جودي مرداسي ، الجزائر– جامعة الحاج لخضر – باتنة، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.
- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحويَّة تداوليَّة ، الدكتور خالد ميلاد ، المؤسسة العربيَّة للتوزيع – تونس ، جامعة منوبة – كلية الآداب ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين ، والكوفيين ، أبو البركات ابن الأنباري(ت٥٧٧هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، ط١ ، (د.ت).
- بين تداوليَّة الأفعال الكلاميَّة والحجاج مقاربة مفاهيميَّة ، حمدي منصور جودي ، مخبر اللسانيات واللغة العربية ، ديسمبر ٢٠١٣م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول ، وجاك موشلار ، ترجمة : الدكتور سيف الدين دغفوس ، والدكتور محمد الشيباني ، مراجعة : الدكتور لطيف زيتوني ، المنظمة العربية للترجمة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
- التداوليَّة بين النظرية والتطبيق ، الدكتور أحمد كنّون ، دار النابغة للنشر والتوزيع ، مصر، ط١ ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، الدكتور مسعود صحراوي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠٥م.
- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي ، الدكتور مؤيد آل صوينت ، مكتبة حضارات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات ، الدكتور شكري المبخوت ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ ، ٢٠١٠م.
- سِفر السعادة وسفير الإفادة ، علم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ) ، حقَّقه وعلق عليه ووضع فهارسه : الدكتور محمد أحمد الدالي ، قدم له : الدكتور شاكر الفحام ، دار صادر – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) ، تحقيق : أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، (د.ت).
- الفعل الكلامي النصي قصيدة (وتعطَّلت لغة الكلام...) لمفدي زكريا أُنموذجاً ، الدكتور عبد الحليم بن عيسى ، ضمن كتاب التداوليَّة في البحث اللغوي والنقدي ، تحرير : الدكتورة بشرى البستاني ، مؤسَّسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – لندن ، ط١ ، ٢٠١٢م.
- الفعل الكلامي في الخطاب النحوي دراسة في كتاب المقتصد في شرح الإيضاح للجرجاني، الدكتور علي عبد الوهاب الوردي ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد : ٧١ ، ٢٩ أيلول ٢٠٢٢م.
- قضايا تداوليَّة في الخطاب القصصي القرآني قصة سيدنا يوسف أُنموذجاً ، إيمان جربوعة ، ضمن بحوث (قراءة التراث الأدبي واللغوي قي الدراسات الحديثة بحوث علمية محكمة ، الندوة الدولية الثانية ، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤.
- الكتاب (كتاب سيبويه) ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة : الدكتور عباس صادق الوهاب ، مراجعة : الدكتور يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق – بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧م.
- مبادئ التداولية ، جيوفري ليتش ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، مطابع أفريقيا الشرق – المغرب ، (د.ط) ، ٢٠١٣م.
- مجالس العلماء ، أبو القاسم الزجاجي (ت٣٤٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت).
- مدخل إلى علم اللغة النصي ، فولفجانج هاينه من ، وديتر فيهفيجر ، ترجمة : الدكتور فالح بن شبيب العجمي ، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم ١١٥ ، النشر العلمي والمطابع– جامعة الملك سعود ، (د.ط) ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، محمد الأخضر الصبيحي ، الدار العربيَّة للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، (د.ط) ، (د.ت).
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو ، ترجمة : محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، ط١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
- المقاربة التَّداوليَّة ، فرانسواز أرمينكو ، ترجمة : الدكتور سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، (د.ط) ، (د.ت).
- المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق : الدكتور كاظم بحر المرجان ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ، (د.ط) ، ١٩٨٢م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، أبو البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق : الدكتور إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الأردن – الزرقاء ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ، أوستين ، ترجمة : عبد القادر قينيني، مطابع أفريقيا الشرق ، (د.ط) ، ١٩٩١م.

- نظرية الأفعال الكلاميَّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، طالب سيد هاشم الطبطبائي ، مطبوعات جامعة الكويت ، (د.ط) ، ١٩٩٤م.
- النظريَّة البراجماتيَّة (التَّداوليَّة) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، الدكتور محمود عكاشة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣م.
- نظرية الحدث اللغوي تحليل ونقد ، محمد العبد ، مجلة الدراسات اللغوية ، المجلد ٢ ، العدد ٤ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.